القضية الفلسطينية وطوفان الأقصى

The Palestinian issue and the Al-Aqsa flood

د. عبد الرحيم خطوف[1]

PhD. khatouf abderahim

ملخص البحث:

تشكل القضية الفلسطينية معضلة سياسية كبيرة، لم يتوصل المجتمع الدولي لحلها رغم المحاولات المتعددة. ومن خلال سياقها التاريخي يظهر أن القضية تدخلت فيها أطراف عديدة، على رأسها دول الاستكبار العالمي التي كانت غايتها التخلص من الجنس اليهودي من بلادها، وغرسه في فلسطين لحراسة التجزئة العربية التي فرضتها بعد الحرب العالمية الأولى، ومراقبة تحركاتها السياسية والاقتصادية والعسكرية، كما ساهمت القيادات العربية في احتلال فلسطين بخياناتها ومؤامراتها على القضية الفلسطينية، حيث كانت لها مصالح مشتركة، ضد مقاومة الشعب الفلسطيني الذي دافع بكل ما لديه، لكنهم وجدوا أمامهم كيانا يهوديا مارس ضدهم كل أنواع التقتيل والخراب والفساد، هذا الجنس البشري اليهودي الذي عرض قصتهم القرآن الكريم وبين خصالهم وعنادهم وصراعهم التاريخي، ليكون وعيا قرآنيا لكل الأجيال البشرية، وليقرر أن هذا الصراع هو صراع أبدي حتى دحر فسادهم ومكرهم، وفي سياق مقاومة هذا الكيان، فاجأت المقاومة الفلسطينية الاحتلال بمعركة طوفان الأقصى فهاجمته داخل الأراضي المحتلة، وقد تعددت أسباب هذه المعركة ودوافعها، كما حددت لها المقاومة أهدافا وغايات على رأسها رفع ظلم الحصار على الفلسطينيين وعلى غزة.

[**الكلمات المفاتيح:** القضية الفلسطينية - طوفان الأقصى - الحركة الصهيونية - الوعي القرآني]

Abstract:

The Palestinian issue constitutes a major political dilemma, and the international community has not been able to solve it despite numerous attempts. Through its historical context, it appears that many parties intervened in the issue, led by the countries of global arrogance, whose goal was to get rid of the Jewish race from their country and plant it in Palestine to guard the Arab fragmentation. imposed after World War I, and monitoring its political, economic and military movements. The Arab leaders also contributed to the occupation of Palestine with their betrayals and conspiracies

(1) دكتوراه في الفقه وأصوله. جامعة ابن طفيل، القنيطرة.

against the Palestinian cause, as they had common interests, against the resistance of the Palestinian people who defended with everything they had, but they found before them a Jewish entity that exercised everything against them. Types of murder, devastation, and corruption. This Jewish human race presented their story in the Holy Qur'an and explained their characteristics, stubbornness, and historical conflict, to be a Qur'anic awareness for all human generations, and to decide that this conflict is an eternal conflict until their corruption and deception are defeated. And in the context of resisting this entity, the Palestinian resistance surprised the occupation with a flood battle. Al-Aqsa attacked it inside the occupied territories. The reasons and motives for this battle were multiple, and the resistance made it its goals and objectives, the most important of which is lifting the injustice of the siege on the Palestinians and on Gaza.

[**Keyswords**: The Palestinian issue - Al-Aqsa flood - the Zionist movement - Quranic awareness].

مقدمة:

لا يمكن فهم ما يجري في فلسطين وغزة بالتحديد من مجازر جماعية وجرائم حربية، وغطرسة صهيونية غير مسبوقة، وما يرافق ذلك من صمت عربي وعالمي رهيب، إلا بالرجوع إلى السياق التاريخي للقضية الفلسطينية، ومعرفة جذورها، وغايات احتلالها، والأطراف التي ساهمت في الاحتلال ودعمته.

إن القضية الفلسطينية ليست قضية الإنسان المظلوم المغتصب في أرضه ومصير حياته، المحروم من تقرير مصيره، وكرامة العيش تحت سقف سماء الحرية، وفوق أرض أجداده ووطنه التاريخي فقط، بل هي قضية أمة شهد تاريخها انكسارا وجرحا في فلسطين، فكان لها وقع على كل العرب والمسلمين في البلاد العربية والإسلامية، واستمر النزيف الفلسطيني إلى حد تصفية القضية الفلسطينية باتفاقيات انهزامية، ومشاريع سياسية واقتصادية غايتها القضاء على ما تبقى من فلسطين وحصارها، منها اتفاق أوسلو، وما يعرف بصفقة القرن بمباركة دول عربية، وصولا بمحاصرة غزة التي أبت أن تنخرط في المشروع الصهيوني الأمريكي. كانت فلسطين وما زالت مركز الاهتمام العربي والإسلامي، وعند أغلب المفكرين والمثقفين في بلاد الإسلام وخارجها، وظلت منذ زمن احتلالها مركز القضايا العربية والإسلامية، ومشروعا أساسيا في تراثهم الفكري والسياسي، واقترحوا مشاريع مختلفة للخروج من الأزمة التاريخية، لم يبرحوا عن قضيتها في كل ما كتبوه،

وجعلوها معضلة المسلمين المركزية. فما هو السياق التاريخي لهذه المعضلة المركزية للقضية الفلسطينية؟ وما هي الأسباب التاريخية الحقيقية لضياعها؟ وهل يمكن تحرير فلسطين من احتلال صهيوني غاشم؟ ولماذا يدعم الغرب الكيان الصهيوني دعما مطلقا؟ وكيف حدثت معركة طوفان الأقصى؟ وما هي دوافعها وأسبابها؟ وما هي غاياتها وتداعياتها على فلسطين وعلى العالم أجمع؟

على ضوء هذه الأسئلة الإشكالية السابقة، تم تحديد أهداف البحث التي جاءت كما يلي

- تسليط الضوء على تاريخ القضية الفلسطينية وجذور أسباب احتلال فلسطين.
- التعرف على مؤامرات الاستكبار العالمي، وكشف خيانات زعماء العرب ضد فلسطين.
- إحياء الوعي القرآني عند المسلمين بطبيعة بني إسرائيل، قصد تحرير فلسطين من غطرستهم.
- الوقوف على بعض الدوافع والأسباب وراء معركة طوفان الأقصى.
- رصد بعض التداعيات والمقاصد لمعركة طوفان الأقصى.

ولتحقيق هذه الأهداف تم اختيار منهج استقرائي تحليلي، استقراء بعض أحداث القضية الفلسطينية ونقدها، واستقراء الآيات القرآنية المتحدثة عن بني إسرائيل وطبائعهم التي تم وصفها والتحذير منها، كل هذا لصناعة مشروع الوعي العميق بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وتجديده عند الأجيال المعاصرة، وإدراك أهميته، واعتباره مقدمة ضرورية لمشروع تحرير فلسطين، من خلال التركيز على الوعي القرآني لمعرفة طبيعة بني إسرائيل تاريخيا، وتحليل حدث معركة طوفان الأقصى تحليلا يعتمد على السياقات التاريخية للقضية الفلسطينية، وربطها بالأحداث المعاصرة داخل فلسطين وخارجها.

أما عن خطة البحث فجاءت متضمنة لمقدمة ومبحثين، يضمان أربعة محاور، وخاتمة وأهم النتائج:

1. المبحث الأول: القضية الفلسطينية، السياق وإمكان التحرير:

- المحور الأول: السياق التاريخي وعوامل الاحتلال: إن نجاح مشروع تحرير فلسطين يعتمد على الوعي بالتاريخ، والمعرفة العميقة بالأسباب التاريخية للقضية، بما جرى من مؤامرات سرية وعلنية بين أقطاب الاستكبار العالمي، والخيانات العربية.

- المحور الثاني: الوعي القرآني ومشروع التحرير: يتضمن الكلام فيه عن أهمية مشروع الوعي القرآني بطبيعة بني إسرائيل، ودوره في مشروع تحرير فلسطين، ليس من الاحتلال الإسرائيلي فقط، وإنما من قبضة الاستكبار العالمي الذي أنشأ إسرائيل والداعم لها.

2. المبحث الثاني: طوفان الأقصى، الدوافع والغايات:

- المحور الأول: الدوافع والأسباب: معركة طوفان الأقصى حدث سياسي وعسكري كبير، لم ينشأ من فراغ، وإنما له دوافع وأسباب دفعته للظهور اضطرارا للخروج من الواقع الضيق الذي حبس القضية الفلسطينية، وحاصر الفلسطينيين.
- المحور الثاني: التداعيات والغايات: من الضروري أن يكون لهذه المعركة الكبيرة أهداف تتعلق بزوال الاحتلال ورفع الحصار، كما له آثار وتداعيات سياسية واقتصادية وعسكرية ليس على المنطقة فحسب، وإنما على المستوى الدولي.



المبحث الأول: القضية الفلسطينية، السياق وإمكان التحرير

يتناول المبحث الأول الكلام عن السياق التاريخي لظهور القضية الفلسطينية. فبعد ما كانت فلسطين دولة عربية إسلامية، تنعم بالحرية والاستقلال، تفاجأت بالاحتلال الإنجليزي، ثم بالهجوم الهمجي من طرف الكيان الصهيوني، لتتحول فلسطين بعد ذلك إلى قضية دولية، انتفض الفلسطينيون وقاوموا هذا الاحتلال الجديد الذي اغتصب فلسطين، لينقسم العالم إلى مؤيد للاحتلال، ورافض له. فكيف تحولت فلسطين من دولة مستقلة إلى دولة محتلة؟ وما هي العوامل التي ساهمت في احتلالها؟ ولماذا صمد الشعب الفلسطيني في مقاومته للاحتلال الإسرائيلي ما يقرب عن قرن من الزمن وما يزال؟ وهل هناك إمكانية لتحرير فلسطين؟ وما هو دور الوعي القرآني في مشروع تحريرها؟ كل هذه الأسئلة وغيرها يناقشها المحور الأول والثاني من المبحث الأول.

المحور الأول: السياق التاريخي وعوامل الاحتلال

إن معرفة السياق التاريخي للقضية الفلسطينية واحتلالها عامل أساسي في المعركة الحضارية الإسلامية لتحرير فلسطين، معرفة الأحداث قبل الاحتلال وبعده، ومعرفة العوامل التي أدت إلى ضياع فلسطين حتى أصبحت قضية كل المسلمين وكل أحرار العالم، قضية يتداولها كل السياسيين والمفكرين والحقوقيين.

1. السياق التاريخي لاحتلال فلسطين:

- بدأت الحركة الصهيونية[1] في القرن التاسع عشر بمساعيها لإنشاء وطن لليهود في فلسطين تحت دعاوى تاريخية باطلة تحت غطاء الاستيطان الزراعي.
- عُقد المؤتمر الصهيوني العالمي الأول سنة 1897 بمدينة بازل السويسرية. بدأت الحركة الصهيونية محاولات السيطرة الفعلية على فلسطين بدلا من الاستيطان الزراعي من خلال تكثيف موجات المهاجرين اليهود.

(1) «الصهيونية حركة سياسية دينية ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر، تدعو إلى إقامة دولة يهودية مستقلة في فلسطين». أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة: الأولى، 1429هـ / 2008م ص:1328. والصهيونيون: «جماعة من اليهود عرفت حديثًا بعملها على اتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود ليعيدوا مجد إسرائيل بزعمهم». أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ط، 1378هـ/ 1959م، ج: 3، ص: 508.

- حاولت الصهيونية باسم زعيمها هرتزل إقناع السلطان عبد الحميد بإعطاء أراضي فلسطين لليهود، لكنه رفض رفضا تاما مما أعدوا له خطة لإسقاطه سنة 1908م.

- بعد انهيار الدولة العثمانية، التي كانت تحكم منطقة العراق وبلاد الشام، جراء هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، عقد تفاهم سري بين فرنسا وبريطانيا في 16/5/1916 صادقت روسيا على اقتسام الجزء الشمالي من الأراضي العربية بين فرنسا وبريطانيا لتحديد مناطق النفوذ في المشرق العربي. ثم وقعت اتفاقية «سايكس بيكو» والتي نصت على تقسيم الأراضي العربية والإسلامية إلى أجزاء سميت أوطان، وجعل فلسطين تحت الانتداب البريطاني.

- سنة 1917، دخلت بريطانيا فلسطين بعدما تلاقت مصالحها الاستعمارية مع الحركة الصهيونية، وأنهت بدخولها 400 عام من الحكم العثماني عقب معارك حامية دارت بين الطرفين داخل الأراضي الفلسطينية خلال الحرب العالمية الأولى ليبدأ بعدها تاريخ من الاضطهادات والتشريد والقمع بحق الفلسطينيين

- في 2 نوفمبر 1917؛ أصدر وزير خارجية بريطانيا آرثر جيمس بلفور[1] إعلانا بتأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين. وعملت بريطانيا على تقديم التسهيلات والدعم لموجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وزيادة عدد المستوطنات اليهودية فيها.

- 1918 انبثاق أولى المنظمات الوطنية الفلسطينية، ومنها المنتدى العربي والنادي العربي.

- 1920 مؤتمر سان ريمو للقوى المنتصرة في الحرب العالمية الأولى يقرر منح بريطانيا حق الانتداب على فلسطين وإعدادها لتقرير مصيرها، مما أدى لاندلاع مظاهرات في القدس احتجاجا على وعد بلفور وعلى القرار، للتأكيد على الهوية الفلسطينية العربية لفلسطين.

- 1922 بريطانيا تعين محمد أمين الحسيني مفتيا للقدس وزعيما لعرب فلسطين. الشيخ أمين يحرض الفلسطينيين لمقاومة أي تنازلات إضافية تمنح لليهود.

- 1922 وفد فلسطيني يرفض المقترح البريطاني القاضي بتشكيل مجلس تشريعي قائلا: إنه من المرفوض ضم ما نص عليه وعد بلفور في مسودة الدستور المقترح للبلاد.

(1) سياسي بريطاني، شُغف بالفكر الفلسفي الديني، وتشبّع بتعاليم العهد القديم (التوراة)، وكان شديد الإعجاب ببعض زعماء الصهيونية، ولما أصبح رئيسا للوزراء تعهد بإنشاء «وطن قومي لليهود في فلسطين»، فكان وعد بلفور.

- 1929 أعمال شغب في القدس والخليل تسفر عن مقتل 200 يهوديا تقريبا. القوات البريطانية تقتل 116 فلسطينيا أثناء محاولتها إخماد أعمال الشغب في القدس.
- 1930 لجنة ملكية بريطانية توصي بتحديد هجرة اليهود إلى فلسطين.
- 1930 نشأت منظمة الكف الأسود التي قادها الشيخ عزالدين القسام واستمرت إلى 1935 وشنت حملات مسلحة ضد الوجود اليهودي والانتداب البريطاني.
- 1935 القيادة الفلسطينية تقبل بالمقترح الذي طرحه المندوب السامي البريطاني لتشكيل مجلس تشريعي، ولكن مجلس العموم البريطاني في لندن يرفض المقترح في السنة التالية.
- من 1936 إلى 1939 اندلاع ثورات فلسطينية بدأت بإضراب عام في يافا. سلطة الانتداب البريطاني تفرض الأحكام العرفية، وتحل الهيئة الفلسطينية العليا التي يرأسها المفتي أمين الحسيني، ومقتل أكثر من 5 آلاف فلسطيني وإصابة 15 ألفا بجروح على أيدي القوات البريطانية. فرار أمين الحسيني إلى سوريا الخاضعة آنذاك للانتداب الفرنسي، لتفادي اعتقاله.
- 1947 إعلان بريطانيا إنهاء انتدابها لفلسطين، والأمم المتحدة توصي بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، وإخضاع مدينة القدس والمناطق المحيطة بها لسيطرة دولية، واللجنة العربية العليا ترفض قرار التقسيم.
- أخذ الشعب الفلسطيني على عاتقه التصدي للتحركات الصهيونية والبريطانية بالمقاومة المسلحة والمظاهرات؛ فكانت ثورة 1921، وثورة البراق 1929، وثورة 1936 التي تجددت 1937 واستمرت حتى عام 1939.
- 1948 إسرائيل أعلنت دولتها بعد انتهاء الانتداب البريطاني، والجيوش العربية تخفق في دحر إسرائيل عقب الانسحاب البريطاني، في حين الأردن احتل الضفة الغربية والقدس الشرقية، ومصر احتلت قطاع غزة، بينما سيطرت إسرائيل على بقية فلسطين بما فيها القدس الغربية، وطردت ثلاثة أرباع المليون فلسطيني على الأقل وشردتهم، مما دعا إلى تم تأسيس وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين (الأنروا) من أجل الاستجابة لحاجات اللاجئين الصحية والتعليمية.
- 1959 ياسر عرفات يؤسس حركة فتح المسلحة في مصر لمهاجمة أهداف في إسرائيل.

- 1967 حرب يونيو التي دامت ستة أيام، تمكنت فيها إسرائيل من احتلال القدس الشرقية والضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان السورية وشبه جزيرة سيناء المصرية، وبعدها تم بناء مستوطنات يهودية في كل هذه الأراضي المحتلة في السنوات التالية بموافقة الحكومة الإسرائيلية.
- في أعقاب حرب 1967، أصدر مجلس الأمن قرار 242 الذي دعا إلى انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها خلال حرب 67، مقابل أن تحترم دول المنطقة سيادة إسرائيل، ووحدة أراضيها، واستقلالها، ويعد القرار أساس كثير من مبادرات السلام حتى هذه اللحظة.
- 1973 إسرائيل تهاجم قواعد منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت والجنوب اللبناني.[1]
- هذا السياق التاريخي الموجز لظهور القضية الفلسطينية تحكمت فيه ثلاثة عوامل رئيسة، كانت وما تزال عوامل حاسمة في مسار القضية، فما كان لليهود الصهاينة أن يحتلوا فلسطين لولا قوة إرادتهم وتخطيطهم المحكم، ودعم الاستكبار العالمي من جهة، وخيانات زعماء العرب من جهة ثانية.

2. قوة التخطيط اليهودي:

فالأحداث التاريخية لها أهميتها في استرجاع الذاكرة الجماعية، لكن الأولى منها معرفة قوة الخصم والعدو في المعركة، وعلى تحقق المعرفة الدقيقة بالعدو يتشكل الوعي الحقيقي، لذلك نمر «سريعا على الأحداث، فهي معروفة مأساوية محزنة، لنتفرغ لقراءة البرنامج الصهيوني والنفسية الصهيونية والأساليب الصهيونية استعدادا لوعد الآخرة».[2]

(1) يرجع إلى كتاب: «تاريخ فلسطين، عمر صالح البرغوتي، وخليل طوطح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ط، 2001م، من ص: 258 إلى ص: 262.» الكتاب يفصل في تاريخ فلسطين، إلى الفتح الإسلامي، حتى عصر العثمانيين، إلى الاحتلال الإنجليزي وتاريخ الاحتلال الصهيوني. ويرجع كذلك إلى موسوعة: «اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، 1999م،» وهو عمل موسوعي ضخم، قام به الدكتور الراحل عبد الوهاب المسيري، صدرت في ثماني مجلدات، عالجت قضية اليهود واليهودية والصهيونية، بدأت بتاريخ العبرانيين في العالم القديم، وتواريخ الجماعات اليهودية بامتداد بلدان العالم وفرقها وكتبها الدينية، وطقوسها وشعائرها، وأزمتها في العصر الحديث، وعلاقتها بالحركة الصهيونية ومعاداة السامية ونشاطاتها ومدارسها وأعلامها.

(2) ياسين عبد السلام، سنة الله، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 2005م، ص: 107.

قوة اليهود تكمن في التخطيط والتنظيم والنفوذ، في سنة 1897م اجتمعت في مدينة بازل بسويسرا الجمعيات الصهيونية برئاسة زعيم الصهيونية ومؤسسها وموحدها هرتزل[1]، وهو بمثابة بداية مشروع الدولة الصهيونية، واتخذوا قرارات سرية جعلوها برنامجهم المستقبلي.

لقد استطاعت الحركة الصهيونية استغلال التاريخ جيدا، وكذلك الكثير من المواقف الدولية السياسية لصالحها، من خلال استراتيجية التفكير السليم والبعيد المدى، واستغلال الماضي في فهم الحاضر ورسم المستقبل. فالصهاينة عندما تحدثوا قبل 200 عام عن قيام وطن يهودي من دون تحديد أرض لإقامته، كانوا يهدفون لاستغلال المواقف الدولية بشكل جيد.

فبعدما أسسوا المنظمة الصهيونية العالمية، عقدوا مئات المؤتمرات واستغلوا جميع المواقف الدولية على مدار التاريخ من أجل إقامة وطن يهودي، كما استغلوا حادثة (محرقة الهولوكوست) جيدا والترويج لها بكل أساليب التضليل والمراوغة، وتشويه الأحداث التاريخية، وتزييف الحقائق الدينية، ولكنهم رغم ذلك حققوا أهدافهم التي رسموها وخططوا لها، فالكيان الإسرائيلي اليوم كيان متحصن بالفكر الصهيوني، يحتل فلسطين، ويسيطر على السياسات العالمية، والاقتصاد العالمي، ويمتلك أكبر الشركات في العالم في جميع المجالات.

من كتابهم العنصري المقدس التوراة، استمد اليهود هذه القوة، قوة برنامجهم، وتخطيط مشاريعهم المستقبلية، وقوة الحروب، «فالقارئ للتوراة يجدها تمجد القوة، وتهتم بالحروب، حتى تأتي على أعداد القتلى والأسرى والحيوانات، كما تطفح بإحراق المدن بما فيها من إنسان وحيوان، وردم الآبار، ودفن عيون الماء، وإحراق البساتين».[2] هذه الأصول اليهودية تسربت إلى أعماق العقلية الغربية، لكن هناك من يرجع قوة العقلية الصهيونية في التخطيط والتنظيم إلى الغرب ومخططاته، «ونحن نذهب إلى أن سياق

(1) تيودور هرتزل هو مؤسس الحركة الصهيونية وزعيمها، ولد في بودابشت في 2 مايو 1860. تلقى تعليما يطابق روح التنوير الألماني اليهودي السائد في تلك الفترة، تعليما يغلب عليه في صلبه الطابع الغربي المسيحي حتى سنة 1878، في نفس السنة انتقلت عائلته إلى فيينا. درس القانون في جامعة ڤيينا بالنمسا، ومارس المحاماة فترة، لكنه هجر هذه المهنة سنة 1885 وتفرغ لهوايته في الكتابة الأدبية.

(2) نعمان عبد الرزاق السامرائي، اليهود والتحالف مع الأقوياء، كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، الطبعة الأولى، 1412هـ، 1992م. ص: 78.

الحركة والفكر الصهيونيين يظل سياقا غربيا تماما، إذ أن حركيات الصهيونية مرتبطة تماما بالتاريخ العام للغرب».[1]

3. دعم الاستكبار العالمي:

قضية فلسطين ليست قضية مثل باقي القضايا الصغيرة والبسيطة فهي قضية كبيرة ومعقدة، لذا كان لابد من العودة للذاكرة التاريخية، الوعي بأسبابها الحقيقية. إن قضية فلسطين متجذرة في التاريخ حيث تمتد إلى الروح الصليبية التي سكنت في قلوب أصحابها منذ حروبها، فبعد «تسعة قرون، وبعد حروب بين النصارى انتهت بحربين عالميتين يتصالح أهل الكفر ويحتلون الأرض المقدسة في فلسطين يسكنون فيها حلفاءهم اليهود».[2]

في العصر الحديث تجددت الروح الصليبية وشعرت أوربا بالذنب فحاولت تعويض اليهود على ما حصل لهم، حيث «أن الأوربيين عرضوا على اليهود أن يقيموا دولتهم في أستراليا فرضي بعضهم وأبَى أكثرهم، وأصروا على فلسطين واستكبروا استكبارا، وكان ما كان»،[3] من إصرار على احتلال أرض فلسطين.

كانت المؤامرة جاهزة لتسليم فلسطين لليهود بعدما حصل الانتداب البريطاني، تم توقيع اتفاقية «سايكس بيكو» 1916 التي نصت على تقسيم الأراضي العربية والإسلامية إلى أوطان صغيرة، وجعل فلسطين تحت الانتداب البريطاني، حيث «التقى الاضطهاد العنصري بالفرصة التاريخية لتسكت السياسة الاستعمارية البريطانية الطموح اليهودي»،[4] فالانتداب البريطاني كان مدخلا لاستيطان اليهود في فلسطين. وتم التخطيط له بين الدول الغربية الكبرى، بغرس كيان سياسي وسط هذه الدول العربية والإسلامية لحراسة التجزئة العربية ومراقبة حدودها، حتى تضمن لهم تكريس هذا التشرذم وتأبيد الوطنية القطرية، لأن التجزئة وعدم وحدة الدول العربية والإسلامية عائق أمام إمكانية النهضة الحضارية التي تعيد الحياة والتكامل إلى أعضاء جسد الأمة الإسلامية. لذلك أقام التحالف الاستعماري الغربي الكيان الصهيوني ليكون سرطانا عنصريا غريبا على أرض

(1) عبد الوهاب المسيري، الصهيونية وخيوط العنكبوت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، 2007، ص: 76.

(2) ياسين عبد السلام، تنوير المؤمنات، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، ط1، 1996م، ج 1، ص: 85.

(3) السموأل المغربي، بذل المجهود في إفحام اليهود، دار القلم - دمشق، تقديم وتخريج النصوص عبد الوهاب طويلة، الطبعة: الأولى، 1410هـ - 1989م، ص: 161.

(4) ياسين عبد السلام، الإسلام والحداثة، مطبوعات الهلال، وجدة، ط1، 2000م. ص: 124.



فلسطين، يقطع وحدة أرض الأمة، ويهدد كل مشاريع الدفاع والوحدة للعرب والمسلمين بما فيها فلسطين، لكن الأمة ظلت على وفائها للقدس وفلسطين، لأنها الرباط الإسلامي الجامع بين أعضاء جسد الأمة.

جاءت اللحظة الحاسمة لتنفيذ خطة المؤامرة الماكرة بالانسحاب البريطاني الغادر وتوطين اليهود في فلسطين وحدوث النكبة، «حدث ذلك في فلسطين عام 1948 عندما غادرها الجيش البريطاني على رؤوس الأصابع، ليترك الشعب الفلسطيني تحت رحمة رشاشات المنظمات الإرهابية الصهيونية»،[1] منذ ذلك الوقت أصبحت الدول الكبرى التي مهدت الطريق لدخول اليهود لفلسطين ملزمة للعمل على استمرار وجودها، وحمايتها ورعاية مصالحها.

4. خيانة زعماء العرب:

إن كان اليهود قد وجدوا الدعم القوي من حلفائهم الغربيين، فإن الفلسطينيين وجدوا من حولهم خيانات عربية، ودول ضعيفة ساهمت إلى حد كبير في تقوية العنصر اليهودي، هذه الدول العربية تتحمل بشكل كبير الهزائم المتتالية أمام كيان مصطنع غرسته الدول الكبرى في فلسطين، حيث «اجتمع سبع دول عربية لمحاربة الصهيونية في فلسطين، وكانت هذه الدول العربية عليلة الروح»،[2] بل سببت جرحا كبيرا لفلسطين، حيث حولت حلم التحرير إلى واقع توسيع الاحتلال لأرض فلسطين في مهزلة «الهزيمة في حرب 1967م في فلسطين، وهكذا ضاع ما كان لهذه الصدمة من أمل في بعث الرؤية الجديدة لمستقبل الأمة العربية».[3]

لم يتوقف الأمر بوجود كيانات هزيلة ساهمت في محنة وجرح فلسطين، وإنما تعدى ذلك إلى خيانات زعماء العرب للقضية، خيانات للأسف كانت سببا في ضياع فلسطين، خيانة «القيادة السياسية التي قادتنا في معركة فلسطين، وإلا ما كان يستطيع تشرشل[4]

(1) مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، دار الفكر - دمشق سورية، الطبعة: الأولى، 1978م، ص: 31.

(2) أبو الحسن الندوي، إلى الإسلام من جديد، دار القلم للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة: الرابعة،1979م، ص: 87.

(3) مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه م س ذ، ص: 10.

(4) ونستون ليونارد سبنسر تشرشل، كان رجل دولة وجنديًا وكاتبًا بريطانيًا شغل منصب رئيس وزراء المملكة المتحدة مرتين، من عام 1940 إلى عام 1945، أثناء الحرب العالمية الثانية، ومرة أخرى من 1951 إلى 1955.

أن ينفذ خطته، ولا الاستعمار أن يحقق أهدافه».[1] وهكذا توالت الخيانات العربية لفلسطين، «فبعد خيانة القادة الذين سلحوا جنودهم سنة 1948 ببنادق معطوبة وذخائر فاسدة، غابَ الجنرالات المصرية عن ميدان القتال أثناء هجوم إسرائيل الصاعق سنة 1967 وانهمكت في لذاتها الآثمة».[2] أما الآن فقد أصبحت خيانات حكام العرب مؤامرات ظاهرة مكشوفة، تحت مسمى التطبيع، ينضاف إلى خيانات الزعماء العرب لفلسطين، خيانة القومية العربية، «فها هم يتحالفون مع اليهود، ويعود النصر إلى معسكر أهل الكتاب متجسدا في تركيز دولة اليهود».[3]

إن العوامل التاريخية الثلاثة السابقة هي التي حسمت قضية فلسطين لصالح العنصر اليهودي، وحدوث الجرح الفلسطيني الذي ما زال نزيفه إلى حد الآن، فبعد تحالف ثالوث العداء والخيانة، اليهود ودول الاستكبار العالمي وزعماء العرب، ضاعت فلسطين، وتأسست دولة الكيان اليهودي الإسرائيلي.

المحور الثاني: الوعي القرآني ومشروع التحرير

1. بنو إسرائيل في القرآن الكريم:

من أهم مؤهلات النجاح في المعارك السياسية والعسكرية معرفة الخصم والعدو معرفة دقيقة. الصهاينة اليهود أعداء ليس ككل الأعداء، فالسياق التاريخي الأسود للقضية الفلسطينية يظهر بشاعة وخبث هذا الجنس البشري، لذا كان من الضروري معرفة أصولهم وطبائعهم وخصالهم. لم يهتم كتاب بقصة بني إسرائيل وتاريخهم أكثر مما اهتم بهم القرآن الكريم، فعرض طبائع وخصال الغالبية من اليهود الفسقة، وأخلاقهم السيئة، وكشف أسرارهم، كما عرض صفات اليهود المعتدلين.

إن تحرير فلسطين يتطلب وعيا عميقا بطبيعة العدو في الصراع، ومحيطه، ودوافعه، فالوعي القرآني بخصال بني إسرائيل له أهميته الكبيرة في كسب المعركة الفاصلة مع اليهود

(1) مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر الجزائر، الطبعة: الثالثة، 1408 هـ / 1988م ص: 108.

(2) ياسين عبد السلام، الإسلام والحداثة، ص: 126.

(3) ياسين عبد السلام، الإسلام والقومية العلمانية، دار الخطابي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط1. 1989م.ص: 111.

الصهاينة، خصوصا إن تعلق الأمر بطبيعة النفس البشرية الماكرة، لذا تنوعت أساليب الوعي القرآني في عرض قصتهم، لتتناسب مع نفسية وواقع كل الأجيال. تبدأ معركتها الطويلة بصناعة الوعي وتجديد التوعية بقضية فلسطين عند أجيال الحاضر والمستقبل، وتأسيس مشروع التحرير، لذلك اهتم القرآن الكريم بقصص بني إسرائيل، كما أحصى جرائم اليهود عبر التاريخ، لتحقيق الوعي القرآني وتجديده عند المسلمين استعدادا للمعركة الفاصلة مع اليهود المعتدين، معركة مع من ظلم واعتدى على فلسطين، واحتل أرضها، وشرد سكانها، وطردهم من أرضهم. «لن يسلحنا للمعركة المصيرية مع بني إسرائيل إلا الوعي القرآني بمن هم اليهود في تاريخ النبوات».[1]

ليس كل اليهود أعداء، لذا نجد القرآن الكريم يتحدث عن بني إسرائيل، ويمدحهم أحيانا بإعلاء الشأن والتنويه بالمكانة، وفي آيات أخرى يذمهم ويحذر من مكرهم وخبثهم.

إن قصة بني إسرائيل هي أكثر القصص ورودا في القرآن الكريم؛ حيث أخذت حيزا كبيرا بين كل القصص القرآني. إن عناية القرآن بعرض القصة ومواقفها وعبرتها ظاهرة، وهذه العناية لم تأت لتسلية المسلمين، بل توحي بحكمة الله في علاج أمر هذه الأمة المسلمة، وتربيتها وإعدادها للخلافة الكبرى، لذلك «خص بني إسرائيل بالذكر لأن السياق في تعداد جناياتهم، ولأنهم أول أمة نزل الوعيد عليهم في قتل الأنفس، ووقع التغليظ فيهم إذ ذاك لكثرة سفكهم للدماء وقتلهم للأنبياء».[2] والغاية من هذا التخصيص لبني إسرائيل كشف حقيقة نوايا اليهود، ووسائلهم وتحذير الأمة المسلمة منها، ومن الوقوع في مثل ما وقعت فيه قبلها.

نجد في القرآن الكريم نوعين من اليهود، منهم المؤمنون الصالحون، ومنهم الظالمون الفاسقون، وقد أشاد الله تعالى بالنوع الأول، كما ذم وحذر من النوع الثاني. قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (النساء: 160-162). فمنهم الكافرون، ومنهم المومنون الراسخون في العلم.

(1) ياسين عبد السلام، الإسلام وتحدي الماركسية، ط1. 1987م. ص: 68.
(2) محمد الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414هـ، ج: 2، ص: 39.

ويقول أيضا: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: 66) «كثير منهم ساء ما يعملون، كثير منهم سيئ عملهم، وذلك أنهم يكفرون بالله»[1] فالظاهرة الغالبة على بني إسرائيل كانت الكفر والعصيان. والاهتمام القرآني في القصة كان لهذا الصنف، لما فيه من عبر ودروس للمؤمنين، حتى ينتبه المؤمنون في التعامل معهم، ويحذروا من خصالهم.

ونحن بصدد البحث في القضية الفلسطينية، يصعب تتبع قصة يهود بني إسرائيل العصاة منهم، ولكن يمكن عرض بعض خصالهم في القرآن الكريم، ونذكر من بينها:

- **البغض والعداوة للمؤمنين:** قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: 120). وقال أيضا: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة: 82).
- **قتل الأنبياء:** قال تعالى: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (المائدة: 70) وقال أيضا: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة: 87).
- **تحريف كلام الله والافتراء والكذب عليه:** قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 75)، وقال أيضا: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ (المائدة /64). وقال أيضا: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: 75).
- **نشر الحروب والفساد في الأرض:** قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة: 64).
- **الحسد والكراهية:** قال تعالى: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ (آل عمران: 120).
- **نقض المواثيق والعهود:** قال تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: 100)، وقال أيضا: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ (المائدة: 13).

(1) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، د. ط، د.ت، ج: 10، ص: 465

- **الاستهزاء بالدين:** قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ (المائدة: 57).
- **قسوة القلب:** قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ (المائدة: 13)، وقال أيضا: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (البقرة: 74).

نقل لنا القرآن الكريم صورة حية للغطرسة اليهودية الصهيونية وقسوة قلوب بني إسرائيل في قصص عديدة، هذه القسوة لم توصف بها أمة من الأمم في التاريخ.

- **الرعب والخوف من الموت:** وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: 24)، وقال تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ (الحشر: 14).
- **الخلاف والبأس شديد:** قال تعالى: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ (الحشر: 14).

2. فلسطين ومشروع التحرير:

لقد كانت وما زالت قضية فلسطين قضية مركزية عند كل المسلمين، فكان هذا الإجماع كفيل أن يوقظ الوعي العام، ويجعل فلسطين «المحور التاريخي الذي أخذ العالم الإسلامي يدور حوله باحثا عن اتجاه إيجابي جديد».[1] لأن فلسطين معضلة المسلمين المركزية، وهي «المعضل المحوري المركزي، الهم الدائم، هم فلسطين وكارثة فلسطين»،[2] عليها تدور كل جهود الصادقين من أهل الفكر، وجهاد الكلمة والسياسة، لتحرير بلاد فلسطين الإسلامية والعربية من الاحتلال، ومواجهة المؤامرات الاستعمارية والخيانات العربية.

إنها معركة فاصلة، معركة التحرير من الاحتلال المغتصب لأرض فلسطين، احتلال صهيوني متغطرس مدعم من طرف قوى كبرى، استطاع بتخطيطه أن ينفذ إلى عمق السياسات العربية، معركة بين صاحب الحق في فلسطين، والمغتصب لفلسطين. من شروط هذه المعركة امتلاك مشروع تحرري واستنهاض الإدراك والوعي، لأن دولة اليهود العبرية صاحبة مشروع، إنها معركة مشروعين متناقضين، مشروع صهيوني طموح لملكته،

(1) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ترجمة: عبد الصبور شاهين، الطبعة الثانية، 1423هـ، 2002م، ص: 107.

(2) ياسين عبد السلام، العدل الإسلاميون والحكم، دار الآفاق، لبنان، ط3، 2001م، ص: 68.

مقابل مشروع إسلامي كبير، هذه هي معادلة المعركة الحقيقية بين «تنبؤ يهودي بمملكة صهيون الألفية، ومع الإسلام وعد الله بالخلافة على منهاج النبوة».[1]

3. أساليب صناعة التحرير:

العوامل التاريخية لضياع فلسطين وطول أمد الصراع، ساهمت في حصول حالة من اليأس أمام جبروت الاحتلال الصهيوني لما وقع ويقع في فلسطين. إن حصول هذه الحالة هي الهزيمة الحقيقية أمام المشروع اليهودي الصهيوني، فكيف نواجه هذه الحالة الانهزامية؟

إن المدخل الحقيقي للمواجهة الحضارية يكمن في صناعة الوعي التحرري وتجديده عند كل الأجيال، هذه الصناعة تقتضي تنوع أساليب تجديد الوعي بالقضية الفلسطينية، نختار من هذه الأساليب:

- **فقه أحداث التاريخ:** إن استرجاع أحداث التاريخ يجدد وعينا بالقضية، ويعيدنا إلى المسار الصحيح وبداية الجرح الفلسطيني، لرسم خطة المستقبل وإلا أخطأنا الطريق، لذا «علينا فهم التاريخ والاستعداد لموعود الله بالشرط المذكور في القرآن».[2]
- **إدراك المشروع اليهودي:** يظهر من خلال الأصول اليهودية أن فلسطين ليست سوى مقدمة نحو تأسيس مشروع (إسرائيل الكبرى) مشروع نجده مرسوما في خرائطهم، حيث يضم جزءا كبيرا من المشرق العربي، مثل دول مصر وسوريا والأردن والعراق وغيرها.
- **الاهتمام بالأحداث المعاصرة:** معلوم أن الأحداث المعاصرة في فلسطين مرتبط بالسياق التاريخي للقضية، ومن خلال المتابعة والاهتمام بها يحصل، يرتبط السياق التاريخي بين الماضي والحاضر، فاتفاق أوسلو، وصفقة القرن، وحصار غزة، كلها تأتي عبر مؤامرات صهيونية عالمية متسلسلة لتصفية قضية فلسطين، وقد سبقتها مؤامرات كبرى تم عرض بعض منها فيما سبق.
- **مقاومة الرجال التاريخية:** رجال التاريخ هم وقود المعركة في الحاضر، لذا وجب التذكير بمقاومة الرجال في التاريخ، أمثال صلاح الدين الأيوبي، وعِز الدين القسام أب المقاومة ضد اليهود في فلسطين، والمقاومات السياسية أبرزها مقاومة السلطان عبد الحميد حيث رفض بيع فلسطين، موقف جد مشرف من السلطان التركي تجاه فلسطين، «فقد ساق

---

(1) ياسين عبد السلام، سنة الله، ص: 191.

(2) ياسين عبد السلام، الإسلام والحداثة، ص: 131.

إليه اليهود قناطير الذهب ليسمح بوجود يهود فيها، فأبى الرجل إباء قطع كل محاولات الإغراء، وأحبط جميع المؤامرات لشطر العالم الإسلامي بهذا العنصر الغريب».[1] كادت مقاومة السلطان أن تنجح حيث «فكر اليهود في إقامة وطن مؤقت في سيناء أو يوغنده، ولكن المؤتمر اليهودي السادس المنعقد سنة 1903م رفض هذه الفكرة وأصر على أرض فلسطين».[2]

خطورة موقف السلطان على المشروع اليهودي، حرك اليهود فدبروا خططهم بليل، وتسارعت الأحداث الحاسمة بعد ذلك، فتم خلع السلطان عبد الحميد، ثم جاءت هجرة اليهود لفلسطين في ظل الانتداب البريطاني، أعقبها انسحاب بريطانيا سنة 1948م من فلسطين، «ليتمكن منها اليهود بعد ذلك، واتفاق المعسكرين الشيوعي والرأسمالي على الاعتراف بإسرائيل وتدعيمها».[3]

- **إدراك تناقضات معايير حقوق الإنسان:** الوعي بهذه التناقضات له أهميته الخاصة في إحراج العنصر اليهودي، وفضح الاستكبار العالمي الداعم لقضيتهم، «ففلسطين شاهد أول على ازدواج المعايير التي به تكيل بها الدول الغربية حقوق الإنسان، لليهود المستهترين بمآت القرارات من الأمم المتحدة».[4] وإذا أحصينا الانتهاكات التي لحقت حقوق الإنسان في الماضي والحاضر نصل إلى خلاصة مفادها: لا توجد قضية من قضايا حقوق الإنسان في التاريخ الإنساني يظهر فيها انتهاك حقوق الانسان، والإعراض عن قيم العدل والمساواة، وتحدي القوانين والأعراف الدولية مثل القضية الفلسطينية.

(1) محمد الغزالي، قذائف الحق، دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، 1991م، ص: 161.

(2) عبد المحسن البدر العباد، الإسلام والحركات الهدامة المعاصرة، منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السابعة، العدد الثالث، محرم 1395هـ يناير 1975م، ص: 28.

(3) محمد علي جريشه، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الوفاء للطباعة والنشر - مصر، الطبعة: الثالثة 1979م، ص: 41.

(4) ياسين عبد السلام، حوار مع الفضلاء الديمقراطيين، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، ط1، 1994م ص: 212.

المبحث الثاني: طوفان الأقصى، الدوافع والغايات

في سياق أحداث القضية الفلسطينية برز حدث القرن. فبعد ما عرف السياق التاريخي هجمات ومجازر متكررة في حق فلسطين وأهلها، هاجم الفلسطينيون هذه المرة الكيان المحتل لفلسطين بطوفان الأقصى، ليحدث مفاجأة سياسية وعسكرية كبيرة على المستوى المحلي والدولي. فكيف حدث طوفان الأقصى؟ وهل هو استمرار للسياق التاريخي للقضية الفلسطينية؟ وما هي مقاصده وغاياته؟ وما هي آثاره وعلاقته بتحرير فلسطين؟ هذه الأسئلة وغيرها يناقشها المحور الأول والثاني من المبحث الثاني.

المحور الأول: الدوافع والأسباب

في السابع من شهر أكتوبر سنة 2023م وقع حدث عسكري كبير في فلسطين، حيث شنت المقاومة الفلسطينية هجوما على الكيان الإسرائيلي سمته معركة طوفان الأقصى، لكنها ليست معركة منفصلة عن معارك المقاومة الفلسطينية التاريخية، وإنما هي معركة ضمن سلسلة من المعارك ضد الاحتلال الإسرائيلي وقبله الاحتلال الإنجليزي، فالمعركة كانت لها دوافع، «فالدافعة: التلعة تدفع في تلعة أخرى من مسايل الماء، إذا جرى في صبب وحدور فتراه يتردد في مواضع فانبسط شيئا أو استدار، ثم دفع في أخرى أسفل من ذلك، فكل واحد من ذلك دافعة، وجمعه: دوافع»(1) فكل حدث في السياق التاريخي هو دافعة تدفع دافعة الأخرى، فمعركة طوفان الأقصى لها دوافع تاريخية عديدة.

إن ظهور هذه المعركة كان مفاجئا للجميع، لأن المفاجأة كانت من تخطيط المقاومة التي عملت على إخفاءها، لأن عامل المفاجأة عامل حاسم في المعارك، خصوصا هذه المعركة غير المتكافئة بين دولة لها جيش يملك السلاح النووي، وبين جماعات ومنظمات تحررية صغيرة رغم أنها مسلحة، فميزان القوى العسكري في صالح الكيان الإسرائيل. فما هي الأسباب والدوافع لهذه المعركة المفاجئة؟ وقبل الجواب عن السؤال والتفصيل فيه، نرجع إلى القرآن الكريم ليبين لنا بعض الحقائق المستقبلية لبني إسرائيل، حيث قرر مصيرهم في عدة آيات، كما قرر مراحل حياتهم، فهي حقائق ساقها القرآن لنا عبرة وإعدادا للمعركة الفاصلة، من هذه الحقائق القرآنية المستقبلية يمكن أن نتعرف على الدوافع العميقة

(1) الخليل الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مصر، ج: 2، ص: 45.

لهذه المعركة المفاجئة معركة الطوفان، فالله تعالى ضرب على اليهود الفسقة ذلة ومسكنة أبدية، جعلهم يصارعون من أجل دفع هذه الذلة، خصوصا مع المؤمنين فكان صراعا أبديا، لا يتنازلون عن علوهم واستكبارهم وفسادهم، وسيلحقون بالمؤمنين أذى وضررا لكنه ضرر عارض.

1. الحقائق القرآنية لمستقبل بني إسرائيل:

- **الذلة والمسكنة:** قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ (البقرة: 61)، وقال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ (آل عمران: 112).

- **الصراع المستمر، والعداوة الدائمة:** قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: 217)، وقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة: 82). القرآن الكريم ذكر اليهود مع المشركين، لأن «ذكر المشركين مع اليهود لمناسبة اجتماع الفريقين على عداوة المسلمين، فقد ألف بين اليهود والمشركين بغض الإسلام فاليهود للحسد على مجيء النبوءة من غيرهم».[1]

- **العلو في الأرض، وفسادهم كبير:** قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: 4).

- **إيذاء المؤمنين وإلحاق الضرر بهم:** قال تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ (آل عمران: 111)، إن هذا الضرر والأذى سيصيب المؤمنين وسيتألمون منه ألما شديدا بسبب كيد هؤلاء اليهود وعلوهم وفسادهم، ولكنه ضرر عارض، سينتهي بشرط التزام المؤمنين بدينهم واليقين في موعود الله تعالى بالنصر والتمكين. «بهذا يضمن الله للمؤمنين النصر وسلامة العاقبة ضمانة صريحة حيثما التقوا بأعدائهم هؤلاء، وهم معتصمون بدينهم وبربهم في يقين، (لن يضروكم إلا أذى) فلن يكون ضررا عميقا ولا أصيلا يتناول أصل الدعوة، ولن يؤثر في كينونة الجماعة المسلمة، ولن يجليها من الأرض.. إنما هو الأذى العارض في الصدام، والألم الذاهب مع الأيام.. فأما حين يشتبكون مع المسلمين في قتال، فالهزيمة مكتوبة عليهم»[2].

---

(1) الطاهر بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج: 7، ص: 5.

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، الطبعة الشرعية العاشرة، 1402هـ، 1982م، ج: 1، ص: 449.

- **الفساد والوعد المفعول:** خاطب حذر القرآن الكريم بني إسرائيل عما سيصيبهم، قال تعالى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ (الإسراء: 7). ذكر المفسرون أن الفساد سمة ثابتة لبني إسرائيل، يفسدون في الأرض مرتين، وبسبب إفسادهم واستكبارهم يبعث الله «﴿عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ ذوي شجاعة وعدد وعدة فنصرهم الله عليكم فقتلوكم وسبوا أولادكم ونهبوا أموالكم، وجاسوا خِلَالَ دياركم فهتكوا الدور ودخلوا المسجد الحرام، (وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا) لا بد من وقوعه لوجود سببه منهم. واختلف المفسرون في تعيين هؤلاء المسلطين»[1] كما أن الآية تشير إلى نهاية علو بني إسرائيل حيث أن «هذه الحلقة من سيرة بني إسرائيل لا تذكر في القرآن إلا في هذه السورة، وهي تتضمن نهاية بني إسرائيل التي صاروا إليها، ودالت دولتهم بها، وتكشف عن العلاقة المباشرة بين مصارع الأمم وفشو الفساد فيها».[2]

هذه الحقائق القرآنية نجدها ثابتة في صراعهم في فلسطين، رغم إقامتهم لدولة إسرائيل، يأتيهم العتاب واللوم من كل أحرار العالم، فهم يعيشون ذلة رغم احتلالهم الأرض وقتلهم للفلسطينيين، الذين ألحقوا بهم أذى وضررا كبيرا، وألحقوا بالأرض الفلسطينية خرابا وفسادا أكبر، لا يهمهم أي شيء إلا استكبارهم وعلوهم في الأرض. فمنذ حصار غزة، سنة 2006 حصارا خانقا، شنت قوة الاحتلال هجمات عسكرية في 2006 و2008 و2012 و2014، ألحقت ضررا كبيرا بالآلاف من الفلسطينيين، بالتقتيل والتشريد، والاعتقال والتعذيب، والحصار والتجويع، لكنهم صبروا، واحتسبوا أمرهم لله تعالى.

عملت إسرائيل على تهميش القضية الفلسطينية، وفصلها عن الجسم العربي، فعقدت عدة اتفاقيات من أجل حصار القضية وتهميشها وقطع الدعم عنها. في سبتمبر 1993 تمت اتفاقية أوسلو، حيث وقع الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين اتفاق تشكيل «سلطة حكم ذاتي فلسطيني انتقالي» يمهد لمرحلة جديدة من تاريخ القضية الفلسطينية، ثم جاءت مؤامرة صفقة القرن في يناير 2020 التي أطلقها الرئيس الأمريكي ترامب لتحقيق السلام المزعوم بين الفلسطينيين والاسرائيليين، ومن أبرز بنودها بقاء مدينة القدس موحدة وتحت السيادة الإسرائيلية، فأسست هذه

(1) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى 1420هـ /2000م، ص: 453.

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج: 2، ص: 541.

الصفقة مشروع التطبيع العربي مع إسرائيل، وإرغامها على التطبيع العلني، حيث كان التطبيع العربي الإسرائيلي سريا بين إسرائيل وبعض الدول العربية، وبعد صفقة القرن أصبح التطبيع علنيا، ففي نفس السنة تم التطبيع العلني مع مجموعة من الدول العربية الإمارات، المغرب، السودان، البحرين، وقبل ذلك كان التطبيع مع مصر 1977، ولبنان 1983، وفلسطين 1993، والأردن 1994. كانت الغاية من هذه الاتفاقيات تصفية القضية الفلسطينية، ومنع الدعم عنها.

وفي نونبر 2022 وصلت حكومة إسرائيلية دينية متطرفة إلى الحكم فزادت الطين بلة، وفي الطغيان قسوة وشدة، فقد طغت على الفلسطينيين أكثر منذ احتلالهم لأرضهم، فزاد طغيانهم وتشديدهم على الأسرى في السجون، فحاصرت المسجد الأقصى، وسمحت للمستوطنين بتدنيسه تحت حراسة جنودهم، بل وصل الأمر إلى الاعتداء العسكري على الأقصى ودخول الجيش إلى المسجد وتدنيسه بأحذيتهم لا يبالون ولا يراعون حرمة الأقصى عند الفلسطينيين، ولا عند كل المسلمين، ففي رمضان 1444هـ، الموافق لأبريل2023، اعتكف مجموعة من الفلسطينيين بالمسجد كما في كل رمضان، لكن هاجمتهم «قوات الاحتلال وحطمت أحد نوافذ المصلى القبلي واعتلت سطحه، وأطلقت قنابل الغاز السام والصوت، صوب المعتكفين، قبل أن تقتحم المصلى القبلي من جهة العيادة، وتعتدي على المعتكفين، واعتقلت 450 فلسطينيا من المسجد الأقصى».(1)

كان هذا الحصار الظالم على غزة، وهذه الاتفاقيات لتصفية القضية، وهذا الاعتداء الغاشم على الأقصى، إيذانا بحرب شاملة، ليس على الفلسطينيين فقط، وإنما على مقدساتهم المسجد الأقصى. كل الأحداث التاريخية للقضية الفلسطينية، كانت أسبابا غير مباشرة، أما الأحداث الأخيرة والمتسلسلة كانت أسبابا مباشرة لمعركة طوفان الأقصى، فهم يعيشون ظلما طال أمده، وقد شرع الله تعالى للمظلومين الدفاع عن أنفسهم فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ (الحج: 39) «ظلمهم المشركون وأخرجوهم من ديارهم...فأدركهم المشركون فأذن للمؤمنين بقتالهم»(2) فإن كان هذا الحصار الظالم برا وبحرا وجوا، وحده لكان كافيا لمعركة طوفان الأقصى أن تندلع للدفاع عن النفس، ودفع الحصار عن أهل فلسطين.

(1) جريدة القدس العربي، السنة الرابعة والثلاثون العدد: 10946 الأربعاء 14 رمضان 1444هـ، 5 أبريل2023، ص: 1.

(2) يحيى بن سلام القيرواني، تفسير يحيى بن سلام، تحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1425هـ - 2004م، ج: 1، ص: 380.

الحصار أسلوب يلجأ إليه العدو عندما ينهزم ويفشل في مقابلة الحجة بالحجة، أو عدم القدرة على المواجهة والمدافعة العسكرية، وهدفه القضاء على الخصم، أو إنزاله عند شروطه الظالمة. فالحصار سنة المهزومين والفاشلين، فقد حوصر النبي ﷺ، في شعب بني هاشم، «وبقوا محبوسين محصورين مضيقا عليهم جدا مقطوعا عنهم الميرة والمادة نحو ثلاث سنين، حتى بلغهم الجهد وسمع أصوات صبيانهم بالبكاء من وراء الشعب»[1] «واشتد الحصار، وقطعت عنهم الميرة والمادة، فلم يكن المشركون يتركون طعاما يدخل مكة ولا بيعا إلا بادروه فاشتروه، حتى بلغهم الجهد والتجأوا إلى أكل الأوراق والجلود، وحتى كان يسمع من وراء الشعب أصوات نسائهم وصبيانهم يتضاغون من الجوع».[2]

كان حصار المسلمين قديما، وما يزال ابتلاء للمسلمين حديثا على ثباتهم، والبلاء سنة ماضية فصبروا على الجوع والعطش والخوف، والصبر عامل مهم من عوامل الصمود والتحدي أمام الباطل وأهله، فالنصر يكون مع الصبر، وأهل الإيمان لا بد أن يتعرضوا للفتن تمحيصاً وإعدادا، قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: 2)، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: 142).

المحور الثاني: التداعيات والغايات

في السابع من شهر أكتوبر سنة 2023م، بدأت معركة مفاجئة حيث شنت المقاومة الفلسطينية هجوما دفاعيا على إسرائيل، وكان لهذا الهجوم المباغت تداعيات على مستوى المنطقة وعلى المستوى العالمي. المعركة خططت لها المقاومة الفلسطينية بكل فصائلها، كما وضعت لها غايات، فما هي هذه الغايات والأهداف التي سطرتها المقاومة الفلسطينية؟

يصعب تحديد المقاصد والغايات والمعركة ما زالت متواصلة، ولكن يمكن أن ندرج مجموعة من الأهداف لمعركة طوفان الأقصى من خلال المتابعة التاريخية للقضية الفلسطينية، وللصراع الفلسطيني الإسرائيلي، ومن خلال تأثير الأحداث المتسارعة لمعركة طوفان الأقصى سواء على المستوى الفلسطيني أو العربي أو الدولي، وهذه الغايات في مجملها هي مصالح من الضروريات الشرعية التي عرفها الإمام المقاصدي بقوله: «المصالح

(1) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثالثة، 1440هـ - 2019م، ج: 3، ص: 37.

(2) صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى، ص: 97.



الضروريات معناها أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج».[1] وهكذا يمكن جرد مجموعة من المقاصد أو المصالح الضرورية لأهل فلسطين، ولأهل غزة على جميع المستويات.

1. أهداف معركة طوفان الأقصى:

- **كسر الحصار الخانق على غزة وأهل فلسطين:** «في أعقاب فوز حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية الثانية في 25/01/2006، وتشكيلها للحكومة الفلسطينية العاشرة، شددت إسرائيل حصارها على قطاع غزة، وتمكنت من حشد التأييد الدولي لفرض شروطها على الحركة، المتمثلة في الاعتراف بحق إسرائيل في الوجود، والتخلي عن سلاح المقاومة، والاعتراف بالاتفاقيات السابقة مع إسرائيل»[2] لكن المقاومة الفلسطينية برمتها رفضت هذه الشروط المجحفة، فشددت إسرائيل حصارها الذي استمر لحد اليوم ما يقارب العشرين سنة، حيث أصبحت غزة سجنا كبيرا يتناقل أخباره العالم، دون أن يحرك أحد ساكنا، وكأن قدر الفلسطينيين التشريد والتقتيل، أو السجن والاعتقال. لا خروج من غزة ولا دخول إليها، وكل ما يدخل من مواد غذائية ومواد استهلاكية تدخل بموافقة الاحتلال الإسرائيلي بعد تفتيش دقيق، فجاءت معركة طوفان الأقصى لتحرك هذا السكون الرهيب، ولرفع الحصار الظالم والخانق.
- **الدفاع عن الأقصى الذي دنسه الجيش الإسرائيلي:** عندما هاجم الجيش الإسرائيلي المعتكفين في المسجد الأقصى، أطلقت المقاومة الفلسطينية تحذيرا شديد اللهجة للكيان الإسرائيلي، لكنه لم يعبث بهذه التحذيرات واستخف بها واستكبر، وكأنه لا يبالي واستصغر كل ما يأتي من الفلسطينيين ومقاومتهم، حتى باغتته معركة طوفان الأقصى.

---

(1) إبراهيم الشاطبي، الموافقات، تحقيق: مشهور آل سلم، دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1997م، ج: 1، ص: 20.

(2) تقرير معلومات، «معاناة قطاع غزة تحت الحصار الإسرائيلي»، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، قسم الأرشيف والمعلومات، بيروت، الطبعة الثانية، 1430هـ، 2009م، ص: 5. هذا التقرير كان بعد الهجوم الإسرائيلي 2008م، عرض الوضع الاقتصادي، والوضع الصحي، التعليم، المعابر، والاعتداءات الإسرائيلية الوحشية، والخسائر البشرية والمادية، أما بعد هجوم 2023م فالوضع أفظع بكثير من حيث الخسائر المادية أو البشرية، بل استعمل فيه حتى تقتيل الحيوانات، وأسلوب الحصار بالتجويع لملايين الفلسطينيين.

- **إحياء فريضة الجهاد الغائبة:** إن معركة الأقصى أحيت في نفوس المسلمين فريضة جهاد دفع العدو بالقتال، وهو فريضة شرعية، لأن «الهجوم على المسلمين يصير دفعه واجبا على المقصودين كلهم وعلى غير المقصودين.»[1] فقد عمل أعداء الإسلام على محاربة وتشويه هذا المبدأ العظيم، حتى أصبح مع مر الزمان دفاع المجاهدين عن أرضهم أو دينهم وشرفهم إرهابا وتشددت وهمجية. فأصبح الجهاد نقرأه في السيرة النبوية فقط، ونترحم على شهداء بدر وأحد وباقي الغزوات، لكن معركة الأقصى أعادت الروح لهذه الفريضة، وأصبح كل المسلمين ينادون بالجهاد، ويدعون للمجاهدين في فلسطين.
- **إعادة القضية الفلسطينية إلى الواجهة:** عمل الاحتلال الإسرائيلي على تصفية القضية الفلسطينية وتهميشها، وحاصرها عبر اتفاقيات متسلسلة زمنيا مع الدول العربية مصر الأردن فلسطين الإمارات المغرب السودان البحرين، فحاصروا حتى الشعوب ومنعوهم من التضامن مع فلسطين والحقوق الفلسطينية ضد الانتهاكات الصهيونية، وجاءت معركة الطوفان لتعيد القضية الفلسطينية لمكانها الطبيعي، وحضورها في السياسات العامة عند كل دول العالم رغما عنهم، وحضورها كذلك ليس بين الشعوب العربية والإسلامية فقط، وإنما بين شعوب العالم الأحرار.
- **إسقاط الاتفاقات الإسرائيلية العربية وتوقيف عجلتها:** كان الهدف الأكبر من الاتفاقات التطبيعية عزل القضية الفلسطينية عن حاضنتها العربية والإسلامية سياسيا في المرحلة الأولى، ثم الانتقال إلى المرحلة الثانية التطبيع الاجتماعي وهي الأخطر من التطبيع السياسي، تطبيع بين الشعوب العربية والشعب اليهودي الصهيوني وكأن شيئا لم يقع في فلسطين، وانتهت القضية الفلسطينية، لكن معركة طوفان الأقصى إن لم تستطع إسقاط الاتفاقات، فقد أوقفت عجلة التطبيع بفضح قادة العرب وسكوتهم عن المجازر المروعة وهدم المساجد والمستشفيات والبيوت على رؤوس أصحابها، وأعادت الشعوب العربية والإسلامية، وشعوب أحرار العالم لاحتضان قضية فلسطين.

---

(1) أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة. 1425هـ - 2004م، ج: 28، ص: 358.



- **إسقاط كبرياء وعلو دولة الاحتلال الإسرائيلي:** نعم تم إسقاط هيبة دولة الاحتلال من حيث نقل المعركة إلى العمق الإسرائيلي، ومن حيث الطرف المحدد لزمان ومكان المعركة، فهي المرة الأولى التي يهاجم الاحتلال الإسرائيلي في عقر الأراضي المحتلة الخاضعة له، وإعلان انطلاق عملية طوفان الأقصى، التي شملت تسلل المقاتلين إلى مستوطنات الغلاف بالتزامن مع إطلاق آلاف الصواريخ على جنوب ووسط إسرائيل، على نحو أصاب إسرائيل بصدمة كبيرة وغير مسبوقة، لم تشهدها منذ 1948م.
- **إظهار حقيقة الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر:** الهجوم كشف عن سلسلة إخفاقات إسرائيلية، حيث لم تتلق الاستخبارات العسكرية إشارات الهجوم، مما أصاب قياداته بالذهول لهذا الفشل الكبير استخباراتيا، ما يعني إسقاط هيبة جهاز الاستخبارات الإسرائيلي، وإسقاط هيبة جيشه، وكشف ضعفه وقوته المزعومة، سواء بالأسر أو عدد القتلى الذي فاق كل الحروب السابقة مع جيوش عربية كبيرة ومنظمة.
- **إطلاق أكبر عدد من الأسرى الفلسطينيين:** وذلك من خلال أسر مجموعة كبيرة من الإسرائيليين من داخل الأراضي المحتلة، ليقع تبادل الأسرى بين المقاومة الفلسطينية والكيان الإسرائيلي الذي تغص سجونه بالأسرى الفلسطينيين، ولقد أسرت المقاومة عددا كبيرا من اليهود الصهاينة، وهذا يقع لأول مرة في تاريخ الكيان، مما سبب لهم صدمة كبيرة.
- **تغيير الوضع في فلسطين:** سيكون لمعركة طوفان الأقصى تداعيات كبيرة ليس على المستوى الفلسطيني فقط، وإنما على المستوى العربي والدولي، والعالمي، لن تعود الأمور كما كانت في فلسطين، فقد أظهر الشعب الفلسطيني صبرا واستماتة كبيرة جدا، كما أظهرت المقاومة الفلسطينية قوة وشجاعة فاقت كل التقديرات. كما أعلنت أكثر من دولة مقاطعتها للعلاقة مع هذا الكيان، مما يعني محاصرة الكيان الإسرائيلي وعزله دوليا وشعبيا، خصوصا من دول إفريقية وجنوب أمريكا، لترتفع أصواتها لأول مرة بمحاكمة الكيان على جرائمه، وملاحقة قاداته، أما على المستوى العربي فقد أصبح زعماء العرب مسخرة لكل شعوب العالم، ولعنة عند الشعوب والإسلامية.

خاتمة:

يظهر أن قضية فلسطين احتلت مكانة كبيرة في قضايا الفكر الإسلامي والإنساني المعاصر، سياسيا وحقوقيا، باعتبارها قضية تحررية عالمية، كما احتلت حيزا كبيرا جدا في المخططات السياسية للدول الكبرى، كل هذا الاهتمام لم يأت من فراغ، وإنما جاء نتيجة أحداث تاريخية جسيمة، شكلت ظلما عميقا لشعب احتلت أرضه وشرد أهله، وتم قتل نسائه وأطفاله، لهذا تبقى قضية فلسطين قضية يأبى التاريخ نسيانها، فهي معضلة المسلمين المركزية، وهي المشروع التحريري لكل أحرار العالم، وللأمة الإسلامية خاصة، هذا المشروع التحرري يقتضي صناعة الوعي، وتجديده في عقول الأجيال الصاعدة، خصوصا الوعي القرآني بطبيعة بني إسرائيل، لأن الوعي شرط أساسي في معركة تحرير فلسطين وفي كل المعارك، معركة تحرير فلسطين من قبضة اليهود الصهاينة هي قضية الأمة المسلمة، فبعدما يحصل الوعي للمليار ونصف المليار مسلم بهويتهم الحقيقية، وقضيتهم المصيرية، ينهضون للإعداد والاستعداد للمعركة الفاصلة، وتبقى معركة طوفان الأقصى حدثا كبيرا في طريق التحرير.

وفي الختام نسجل بعض نتائج البحث ونذكر منها:

- قضية فلسطين قضية مركزية وهي المعضلة الكبرى للأمة العربية والإسلامية، ولأحرار العالم.
- السياق التاريخي للقضية الفلسطينية يبين بشاعة الاحتلال الإسرائيلي، كما يبين المقاومة الشرسة للشعب الفلسطيني ولأبطال فلسطين.
- الوعي بالأسباب التاريخية التي ساهمت في الجرح الفلسطيني سلاح أساسي في المعركة.
- صناعة الوعي القرآني وتجديده يشكل مدخلا أساسيا نحو تحرير فلسطين من الاحتلال اليهودي الصهيوني.
- قوة إرادة اليهود وتخطيطهم المحكم، ودعم الاستكبار العالمي، وخيانات زعماء العرب، كانت عوامل أساسية ساهمت في تقوية العنصر اليهودي واحتلاله فلسطين، في حين ساهمت في إضعاف الطرف الفلسطيني.
- المدخل الحقيقي للمواجهة الحضارية يكمن في مشروع صناعة الوعي وتجديده في عقول الأجيال، وهو الأمر الذي يقتضي تنوع أساليب تجديد الوعي.

- جاءت أساليب تجديد الوعي في المشروع الحضاري لتحرير فلسطين متنوعة لتتعدد مداخيل الوعي بقضية فلسطين، منها فقه أحداث التاريخ، وإدراك المشروع اليهودي، ومتابعة الأحداث المعاصرة، ومقاومة الرجال التاريخية، وإدراك تناقضات معايير حقوق الإنسان.
- معركة طوفان الأقصى لها أسباب واقعية، فهي امتداد للمقاومة الفلسطينية للاحتلال منذ 1948م، وهي دفاع عن النفس أمام كيان مغتصب ومحاصر لملايين الفلسطينيين برا وجوا وبحرا.
- معركة طوفان الأقصى لها أهدافها وتداعياتها، على رأسها رفع الحصار الظالم على الفلسطينيين في غزة، وإرجاع القضية الفلسطينية إلى موقع الصدارة، فهي قضية احتلال كيان واغتصابه لأرض فلسطين.
- ويبقى مشروع تحرير فلسطين هو مشروع الأمة الإسلامية، تساهم فيه كل شعوب أحرار العالم، ومعركة طوفان الأقصى ما هي إلا مقدمة في طريق مشروع تحرير فلسطين.

والحمد لله رب العالمين

لائحة المصادر والمراجع

• إبراهيم الشاطبي، الموافقات، تحقيق: مشهور آل سلم، دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1997

• ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثالثة، 1440هـ - 2019

• أبو الحسن الندوي، إلى الإسلام من جديد، دار القلم للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة: الرابعة،1979

• أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1425هـ - 2004

• أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ط، د.ت

• أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة 1/ 2008

• تفسير يحي بن سلام، يحي بن سلام القيرواني، تحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1425هـ - 2004

• تقرير معلومات، «معاناة قطاع غزة تحت الحصار الإسرائيلي»، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، قسم الأرشيف والمعلومات، بيروت، الطبعة الثانية، 1430هـ، 2009

• الخليل الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار الهلال، مصر.

• السموأل المغربي، بذل المجهود في إفحام اليهود، دار القلم - دمشق، تقديم وتخريج النصوص عبد الوهاب طويلة، الطبعة: الأولى، 1410هـ

• سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، الطبعة الشرعية العاشرة، 1402هـ، 1982م.

• صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى، د.ت

• الطاهر بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م

• عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى 1420هـ /2000م

• عبد المحسن البدر العباد، الإسلام والحركات الهدامة المعاصرة، منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السابعة، العدد الثالث، محرم 1395هـ يناير 1975م

• عبد الوهاب المسيري، الصهيونية وخيوط العنكبوت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، 20007م

• عبد الوهاب المسيري، موسوعة: «اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد» دار الشروق، القاهرة، 1999م

• عمر صالح البرغوتي، تاريخ فلسطين، وخليل طوطح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ط، 2001م،

• مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر الجزائر، الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988م

• مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، دار الفكر - دمشق سورية، الطبعة: الأولى، 1978م،

• مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ترجمة: عبد الصبور شاهين، الطبعة الثانية، 1423هـ، 2002م،

• محمد الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414هـ.

• محمد الغزالي، قذائف الحق، دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، 1991م

• محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث، مكة، د. ط، د.ت.

• محمد علي جريشه، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، الطبعة:



لائحة المصادر والمراجع

الثالثة 1979م،

- نعمان عبد الرزاق السامرائي، اليهود والتحالف مع الأقوياء، كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، الطبعة الأولى، 1412هـ، 1992م.
- ياسين عبد السلام، الإسلام والحداثة، مطبوعات الهلال، وجدة، ط1، 2000م.
- ياسين عبد السلام، الإسلام والقومية العلمانية، دار الخطابي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط1. 1989م.
- ياسين عبد السلام، الإسلام وتحدي الماركسية، ط1. 1987م. ص: 68
- ياسين عبد السلام، العدل الإسلاميون والحكم، دار الآفاق، لبنان، ط3، 2001م،
- ياسين عبد السلام، تنوير المؤمنات، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، ط1، 1996م.
- ياسين عبد السلام، حوار مع الفضلاء الديمقراطيين، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، ط1، 1994م.

ياسين عبد السلام، سنة الله، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 2005م.